# القدس من المجازر إلى مفارقة الهوية
# برؤية إستشراقيه

**Jerusalem from massacres to the paradox of identity**

**with an Orientalist vision**

**م.د. ياسمين عباس مطلك**

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الاسلامية

قسم اللغة العربية

رقم الهاتف 07766124393

البريد الالكتروني

yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

**DR. Yasmin Abbas Mutlaq**

Iraqi University /College of Islamic Sciences

Arabic Language Department

## الملخص

تحتل القدس والمسجد الاقصى مكانة متميزة في الاديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام، فأرض فلسطين بلد الانبياء ومهبط الوحي والرسالات فصارت كل المنطقة والمناطق المحيطة بها مهمة لجميع الشعوب العربية والاسلامية والغربية الاوربية.

الكلمات المفتاحية : القدس، الحروب الصليبية، ، المؤرخين، المجازر، الأسرى.

**Abstract :**

Jerusalem and Al-Aqsa Mosque hold a special place in the three religions , Judaism, Christianity and Islam , The land of Palestine is the land of the prophets and the cradle of revelation and messages, The entire region and surrounding areas have become , it has a mission for all Arab , Islamic and Arab European people.

Keywords: Jerusalem , the Crusades, Zionist historians, al Massacres, Azar al- Amri.

## المقدمة

كتب الكثير من المؤرخين ولا سيما المستشرقين عن تاريخ القدس الشريف، فقد تضاربت رؤيتهم منهم من نقد وشجب المذابح التي تعرض لها سكان بيت المقدس على ايدي الصليبين، ومنهم من مجد تلك المذابح وعدها انتصار عظيم للغرب الاوربي، كما أن الصليبين عاشوا مع المسلمين وتأثروا فيهم ونالوا المعاملة الحسنى من لدن المسلمين ؛فتوثقت العلاقات بين الطرفين حتى نجد أنه من الصعوبة التمييز بين الافرنجي والفلسطيني فضاعت هوية الافرنجي أو النورمندي آبان الحروب الصليبية، لكن فيما بعد ضاعت هوية الفلسطيني واضطر إلى ترك بلده على اثر المجازر التي تعرض لها.

فعدت الحروب الصليبية ظاهرة تأريخية مهمة في التاريخ الاسلامي، بينما عدت الحرب العالمية الاولى من المنظور الغربي ؛ لكون شارك فيها الكثير من الاعراق المختلفة، كما انها عدت النواة الاولى لدراسة استشراق الحروب الصليبية.

**مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في تضارب الاراء حول المجازر التي تعرض لها سكان بيت المقدس عبر التاريخ والموقف الدولي منها.

**أهمية البحث:**

تكمن اهمية البحث في كوننا ربطنا سبب هجرة سكان بيت المقدس وضياع هويتهم القومية على اثر المذابح التي تعرضوا إليها على مر الزمان.

**الهدف من البحث:**

أن من أهم اهداف هذا البحث هو بيان رؤية المؤرخين المسلمين واللاتين المعاصرين للحروب الصليبية ولا سيما للمذبحة التي حلت بحق السكان الامنيين في بيت المقدس، كما هو من المؤكد التوجه في هذه الدراسة إلى معرفة رؤية المستشرقين فيما بعد إلى الاعمال الوحشية التي تعرض إليها سكان القدس، وكذلك وصفهم للعلاقات التي كانت قائمة بين

المسلمين والصليبين آنذاك.

**منهجية البحث:**

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي النقدي ومن ثم تحليل الروايات التاريخية التي رواها كل من المؤرخين المسلمين واللاتين ومن ثم فلسفة رؤى المستشرقين .

**خطة البحث:**

قسمت الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المبحث الاول، دراسة القدس من القدسية إلى الدمار والذي بدوره يتكون من ثلاثة محاور، فالمحور الاول حمل عنوان السياق التأريخي لبيت المقدس، بينما المحور الثاني كان بعنوان تحليل المجازر في بيت المقدس وفق رؤى المؤرخين والمستشرقين، وكذلك المحور الثالث فقد حمل عنوان الأسرى في بيت المقدس بين الروايات التأريخية والأستشراقية .

أما المبحث الثاني فقد كان يصب تحت عنوان الاستيطان والتعايش السلمي في بيت المقدس والذي بدوره تضمن محورين، المحور الأول كان بعنوان لمحة تأريخية عن الاستيطان، بينما المحور الثاني درسنا تطور الاستيطان والعوامل المؤثرة فيه، ومن ثم خاتمة البحث وقائمة المصادر والمراجع.

# المبحث الأول
# القدس من القدسية إلى الدمار

## أولاً/ السياق التأريخي لبيت المقدس

بدأت الدعوة لاحتلال بيت المقدس من قلب فرنسا عندما عقد البابا اوربان الثاني Urban II اجتماع في مؤتمر كليرمونت سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، دعا فيه إلى تحرير القدس من قبضة المسلمين الذين وصفهم بالكفار، فضلاً عن تخليص مسيحيو الشرق الارثوذكس من الاضطهادات وتحرير قبر السيد المسيح (عليه السلام)(١)، على اعتبار فلسطين ميراث مسيحي ويجب ان تسترد بقوة السلاح، فقد جاء في مستهل خطبة البابا اوربان الثاني ما يلي «انطلقوا على طريق الضريح المقدس انقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب واحكموها بأنفسكم»(٢)، واعطى لخطبته طابع ديني من خلال اقتباسه نص من نصوص الكتاب المقدس الا وهو (اعطاها الرب ملك لبني اسرائيل)(٣) .

ان لمؤرخين اللاتين وصفوا الحرب الصليبية بأنها حرب مقدسة فهذا المؤرخ فوشيه قال عنها «الحق اننا تحملنا محبة الله هذه المشقات»(٤)، وان الرب هو الذي امرهم بالتوجه الى بيت المقدس واخذها من ايدي المسلمين من خلال قوله جهراً «وان هذا الانجاز الذي اختاره الرب ان يتم على يد شعبه، اولاده وعائلته الاحباء الذين اختارهم لهذه المهمة سوف يخلد وتجري ذكراه على السنة جميع الامم الى ابد الابدين»(٥) .

---

(١) الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٦-١١٢٧)، تر: زياد جميل العسلي، ط١(عمان، دار الشروق ،١٩٩٠م)، ص١٠؛مؤرخ مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، ط (مصر، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م)، ص١٣؛ رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، تر: نور الدين خليل، ط١(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م)، ج١، ص١٦١؛ سميل، ر.س، الحروب الصليبية، تر: سامي الدهان، ط (بيروت، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م)، ص١٠٠.

(٢) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٨٢؛ رواية الراهب روبير عن مجمع كليرمونت، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، قاسم عبده قاسم، ط( القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ٢٠١١م)، ص٧٩.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) تاريخ الحملة الى القدس، ص٨١.

(٥) المرجع نفسه، ص٧٦.

ان فوشيه كرؤية انسان العصور الوسطى نظر الى المسلمين نظرة سيئة بأنهم يصلون في قبة الصخرة صلاة وثنية بقوله «لقد مارس الشرقيون هنا عبادتهم الوثنية بشعائر خزعبلية كما انهم لم يسمحوا بدخول المسيحيين إليه»(١) .

مما لا ريب فيه، ومن خلال هذا النص يبدو أن فوشيه يقصد بالشرقيين ليس فقط المسلمين بل مسيحيو الشرق الارثوذكس الذين كانوا برعاية وزعامة الحكام المسلمين، يمارسون شعائرهم الدينية بحرية مقابل دفعهم الجزية.

لذلك عدوا باباوات أوربا المسلمين في العصور الوسطى اعداء للمسيحية فهذا روجر اوف ويندوفر وصف صلاح الدين الايوبي بـ "العدو المعلن للحقيقة والصليب"(٢) .

ليس هناك ما يشير في الانجيل على اهمية زيارة بيت المقدس كونه فرضاً دينياً على المسيحيين، الا ان له مكانة اخذها من العهد القديم(٣)، ثم تطورت اهمية الحج مع ظهور افكار جديدة منها ان المواضع التي يحج المسيحيون الكاثوليك اليها هي قبر القديس بطرس في روما، ومزار القديس ميخائيل في مونت جورجيانو في صقلية، والقديس جون في كوميوستيلا في اسبانيا، والقدس وبيت لحم في فلسطين(٤ ) ؛ لكون هذه الاماكن شهدت حياة السيد المسيح وموته أو حتى موت أحد القديسين وتتمتع بقوة روحية تساعد على محو الذنوب(٥) .

يبدو أن عقلية انسان العصور الوسطى في أوربا تصدق اقوال رجال الدين الذين كانت لهم غايات اخرى ومنها اقتصادية على اليقين غطت بغطاء ديني ؛ لذلك وجهوا عامة الناس وخاصة الطبقة الكادحة إلى القدس بحجج دينية.

كما ان البابوية الكاثوليكية تبؤات منصب السيادة الدينية والدنيوية على العالم الغربي، وصارعت الكنيسة الشرقية الارثوذكسية للسيطرة على العالم المسيحي(٦)، إذ أن القدس برزت مكانتها المتميزة على روما نفسها ؛ لأن الاماكن الثلاثة المقدسة جميعها تحت سيطرة روما ما عدا بيت

(١) تاريخ الحملة، ص٧٥.

(٢) ويندوفر، روجر أوف ،ورود التاريخ في تاريخ الحروب الصليبية، الموسوعة الشاملة، تر: سهيل زكار، ج٣٩،ص٤٣.

(٣) قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ،ط (عالم المعرفة، ١٩٧٨م)، ص٢٠.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٧١-٧٢.

(٦) شيفل، فرديناند، الحضارة الاوربية في القرون الوسطى وعصر النهضة، تر: منير البعلبكي، ط (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٢م)، ص٣٥.

المقدس تشرف عليه الكنيسة الشرقية التي كانت تحت حكم المسلمين[١] .

تبين لنا من خلال مما سبق، بأن دعاية الحج إلى القدس بحجة حماية القبر المقدس والتنديد بما يتعرض له الحجاج المسيح الكاثوليك في الشرق الاسلامي، كانت دعاية سياسية دينية من الطراز الاول، بهدف سيطرة كنيسة روما على بيت المقدس.

مما لاشك فيه، ان تحمس الملوك والرهبان والامراء وعامة الناس في اوربا الى الحج وزيارة الاماكن المقدسة والصعود الى جبل الزيتون الذي صعد منه السيد المسيح (عليه السلام) الى السماء لتكفير ذنوبهم[٢]، وهذا الاندفاع الشعبي الاوربي الى بيت المقدس هو اعتقادهم السعادة الابدية ليكونوا مدينة الله بنزول السيد المسيح الى الارض لتأسيس هذه المدينة التي راح ضحيتها الكثير من القرابين إلى السماء بهذه الحجج[٣] .

اطلق على الحملات الصليبية اسم الحروب المقدسة The Holy War، على اعتبار خطبة البابا اوربان الثاني ذكرت مسيح اوربا بما يتعرض له مسيحيو الشرق من قتل واذلال، ومن جهة اخرى ذكرتهم بأمجاد شارلمان وغيره من ملوك الفرنجة الذين دافعوا عن الكنيسة ونشروا المسيحية[٤] .

ان كل من البابا ليو الرابع (٨٤٧-٨٥٥م) ويوحنا الثامن (٨٧٢-٨٨٢م) نادوا الى الدفاع عن المسيحية وادعوا ان كل من يموت في سبيل الكنيسة سوف ينال ثواب من السماء وتغفر ذنوبهم[٥].

مما لاريب فيه، أن القدس ليست غاية لكل مسيحي، فلها قدسيتها في الديانتين اليهودية والاسلامية، فقد قصدها اليهود لإداء الحج وكانت قبلة المسلمين الأولى.

نقد اسقف عكا وليم الطرابلسي الحرب على الاراضي المقدسة في فلسطين قائلاً «نريد مرسلين لا جنوداً لاسترداد الأرض المقدسة» [٦]، كما أن النظرة الى الحروب الصليبية الدينية تغيرت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وبالتحديد بعد حركة الاصلاح الديني التي قامت في الكنيسة الكاثوليكية رداً على المساوئ المنتشرة فيها، ومنها بيع صكوك

(١) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٦٠.

(٢) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص١٦٠.

(3) Bainton Roland , H, Patristic Christianity , The Idea of history in the ancient near East , (London ), p217-219.

(٤) قاسم ،عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق،ط(عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م)، ص٧١.

(٥) يوسف، جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص٤٦.

(٦) حتى، فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر: انيس فريحة، ط (بيروت، مطبعة الغريب)، ص٣٩٤-٣٩٥.

الغفران التي ابتدعها ليو التاسع[١] .

مما لاريب فيه، وعلى مر الزمان جاء الرد على اعمال بابوات روما الذين حرضوا على الحروب الصليبية من قلب كنيستهم في القرن العشرين، فقد اعلنت الكنيسة الكاثوليكية في سنة ٢٠٠٠م على لسان بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثاني (١٩٧٨-٢٠٠٥م) اعتذارها ببيان رسمي لكافة شعوب العالم عن خطايا الكنيسة الكاثوليكية ضدها باسم الدين المسيحي طيلة الالفي سنة الماضية[٢] .

**ثانياً/ تحليل المجازر في بيت المقدس وفق رؤى المؤرخين والمستشرقين**

عانت القدس الكثير من المذابح والويلات عبر التاريخ فأول مذبحة في بيت المقدس كان قد ارتكبها الصليبين، ولا سيما الفرنجة بحق السكان المحليين على الرغم من مقاومة سكانها الذين تصدوا للغزاة الصهاينة الصليبين بكافة الامكانات المتاحة لديهم، إذ أنهم طمروا وافسدوا كل ما يحيط بالمدينة من مياه الينابيع والعيون، لمنع العدو من استخدامها والانتفاع بها، فقد اخفوا الماشية في الكهوف والمغاور خوفاً من نهبها [٣] .

كانت مدينة القدس من الناحية الامنية ضعيفة من الباب الشمالي المعروف «بباب القديس ستيفن» [٤]، وعلى الرغم من الدفاع المستميت سقطت القدس يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ/ الخمسة عشر من تموز سنة ١٠٩٩م [٥] .

---

(١) ديورانت، ول، قصة الحضارة، تر: عبد الحميد يونس، ط (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م)، ج١، ص٢٣؛ هازار، بول، الفكر الاوربي في القرن الثامن عشر من منتسكيو الى لسينج، تر: محمد غلاب، ط( القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩م)، ص١٧٦.

(٢) الابن، جيمس رستون، مقاتلون في سبيل صلاح الدين وريتشارد قلب الاسد، نقله الى العربية : رضوان السيد رضوان، ط١( الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م)، ص٧٧؛ الزهاوي، عباس عبد الستار، المستشرقون و صناع القرار والرأي العام الغربي من الحروب الصليبية إلى الحرب الباردة، ط(بغداد، ٢٠١٦م)، ص٨٣.

(٣) مؤرخ مجهول، اعمال الفرنجة، ص٨٦؛ توديبود، بطرس، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، تر: حسين عطية، ط ١ (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ص٣١٥؛

Raimond , CF, A guilers history francoram qui ceperant Iherusalem , p292-293.

(٤) يعرف باسم باب العمود أو باب نابلس، ويسمى باب القديس ستيفن ؛ لأن القديس تعرض للرجم خارج هذا الباب، أما تسميته بباب العمود ؛ لأن الرومان اقاموا عموداً في الميدان الواقع خلف باب دمشق، وكان الرومان يستخدمون العمود كنقطة يقومون منها بقياس المسافات من اورشليم الى المدن الاخرى. ينظر: بورشاد من دير جبل صهيون، وصف الارض المقدسة ،ط (دار الشروق، ١٩٩٥م)، ص١٤٥-١٤٦.

(٥) ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة بن اسد بن علي بن محمد (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، ط (بيروت،

أن حصار القدس والمذابح التي حلت بها كان لها صدى كبير لدى المؤرخين والعالم فقد وصف لنا المؤرخ اللاتيني فوشيه الحصار بقوله «كانوا يضيقون الحصار والهجوم من ناحية اخرى من المدينة إلى ان رأوا الشرقيين يقفزون من اسوار المدينة وانضموا إلى رفاقهم يلاحقون ويذبحون اعدائهم الاشرار بلا توقف ... فر بعض هؤلاء عرباً واحباشاً إلى برج داوود ... أما الشرقيون الذين صعدوا إلى قبة هيكل سليمان فقد اطلقت عليهم السهام وخروا صرعى يتساقطون على رؤوسهم» [١]، ثم انبرى ريموند اجيل (ت بعد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م)، بوصف دخول الفرنجة إلى القدس بصورة شعرية قائلاً:

في السنة الف ومئة ينقصها واحد من المولد العذري للرب المجيد
بعدما اشرقت شمس تموز خمس عشرة مرة
استولى الفرنجة بعزيمتهم على مدينة القدس[٢]

تناول فوشيه مذبحة بيت المقدس بالوصف قائلاً «وكم زكمت انوفنا الروائح الكريهة حول اسوار المدينة من الداخل والخارج المتصاعدة من جثث الشرقيين المهترئة الذين فتك بهم رفاقنا عند احتلال المدينة منطرحة حيث تم اصطيادها»[٣].

يبدو ان اي محتل أو غازي يهجم على بلد أو مدينة معينة يجرم في القتل والدمار وخاصة أذا أهل البلاد دافعوا دفاع المستميت عن بلادهم، الا أن المشهد الفظيع الذي عرضه لنا المؤرخين يعتبر وصمة لا انسانية في التاريخ الاسلامي.

وصف وليم الصوري المذبحة قائلاً «فر الجانب الاكبر من الناس الى فناء المسجد لوقوعه في موضع قاصٍ من المدينة كان محصناً اشد التحصين بسور وابراج وابواب لكن فرارهم الى هناك لم يسعفهم بالخلاص اذ سرعان ما اقتفى تانكريد اثرهم على رأس معظم رجال الجيش الذين اقتحم بهم المسجد واعمل مذبحة شرسة»[٤] .

---

مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨م)، ص١٣٧؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١( بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٢٨٣؛ مؤرخ مجهول، اعمال الفرنجة، ص١١٧.

(١) تاريخ الحملة إلى القدس، ص٧٥.

(٢) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، ط١( الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ٣٦٧

(٣) تاريخ الحملة الى القدس، ص٨٢.

(٤) المصدر نفسه .

مما لا ريب فيه، أن وليم الصّوري من خلال تعليقه على نصر الصليبين ودخولهم القدس، عد الجزء الاكبر من الانتصار جاء على يد القائد النورمندي تانكريد الذي كان يقود رجاله الذين يشكلون غالبية الجيش.

يبدو أن لرجال الدين اثر كبير في مذبحة القدس، اذا كانوا يشجعون الصليبين على الاسراف في القتل انتقاماً للسيد المسيح[١]، كما ان وليم الصوري ارجع مذبحة بيت المقدس إلى القدسية الدينية مدعياً أن الرب هو من امرهم بقتل السكان العزل من السلاح قائلاً «ودخل المسجد حشد من الفرسان والمشاة فذبحوا ذبح الشاة كل من لجأ إلى هنا يبتغي الحماية واعملوا القتل فيهم لم تأخذهم رحمة بأحد ما حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا وكان ذلك قضاء عادلاً من الرب أمضاه فيمن دنسوا هيكل السيد بشعائرهم الخرافية وحرموه على شعبه المؤمن»[٢] .

وضع المستشرق غروسيه بصماته في غلبة العامل الديني على مذبحة القدس بقوله «ان الاسقف الكبير غليوم دي تير أسقف بيت المقدس قال : فقد بدت المدينة مسرحاً لذبح هؤلاء الاعداء وكثير من الدماء المهرق اثار اشمئزاز الصليبين بأنفسهم»[٣] .

نوه لنا وليم الصوري عن اجراء الصليبين بإخراج جثث القتلى المسلمين من القدس بقوله «رأى الزعماء ان الضرورة تتطلب قبل كل شيء تنظيف المدينة ولا سيما نواحي الهيكل حتى لا يتفشى الطاعون ؛ بسبب الهواء الملوث بالنتن المتصاعد من جيف القتلى ... فأحرقت بعض الجيف ودفن البعض الاخر حسبما يأذن الوقت»[٤]، ثم وافقه المؤرخ المجهول بقوله «وجمعت اكوام من الحطب كأنها الجبال واحرقوا عليها ولا يعلم غير الرب عدد الذين احرقوا»[٥] .

أن هذه المذبحة مأساة انسانية وجريمة من جرائم العصور الوسطى التي تعرض لها سكان فلسطين، ومهدت فيما بعد للمذابح التي تعرض لها سكان فلسطين الاصليين على يد الصهاينة .

تطرق فوشيه إلى وصف الغنائم التي حصلت عليها الغرب الاوربي بقوله» كم كانت تصيبك الدهشة لو انك شاهدت رجالنا المشاة وحملة الترس بعد ان اكتشفوا الشرقيين يبقرون بطون من

---

(1) Zoe , olden bourg the crusades , (New York , 1965), p138.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) رينيه، ملحمة الحروب الصليبية، تر: سامية زغيب، مر و تق : د. ابراهيم بيضون، ط١ (بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)، ص٥٤.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص١١٨.

ذبحوا ليستخرجوا من امعائهم الدنانير الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم على قيد الحياة»[١] .

تبين لنا واضحاً بأن العامل المادي له اثره في نفوس الجنود المرتزقة الذين هجموا على القدس بكل وحشية متخذين من دعوى الجهاد المقدس غطاء لهم، لذلك نهبوا وسلبوا كل ما وجدوه أمامهم، وبينت نواياهم الحقيقية فأي قبر مقدس يحررونه ؟ وأي حماية يقدمونها للحجاج بهذه الفوضى التي اثاروها؟

و مما لاشك فيه، ان الصليبين انطلقوا في شوارع المدينة والى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والاطفال وينهبون ما يصادفهم[٢]، وهذا ما اكدته لنا المؤرخة اليونانية آنا كومنين في حق جيوش الغرب الاوربي بقولها» لم يكونوا ... الا برابرة اجلافاً ... لم يحملوا اشارة الصليب الا طمعاً في الغنيمة»[٣] .

علق ونقد المستشرق غوستاف لوبون مذبحة القدس ووصف مدى حقد الصليبين على المسلمين قائلاً « كانت الدماء تسيل كأنها الانهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث ... كان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى اكداس من رؤوس العرب من ايديهم وارجلهم فلا يمر المرء الا على جثث قتلاهم ولقد افرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان "[٤] .

وصف لنا المستشرق الالماني هانس ماير الأعمال الشنيعة والمخزية التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس بقوله «قد افرغ حماس النصر وتعصب الصليبين الديني وتراكم ذكريات المشقات التي تحملوها خلال ثلاث سنوات، وفي حمام دم مرعب سقط ضحيته كل واحد وقع تحت نصله القتلة الصليبين بغض النظر عن دينه وعنصره ... ان الحملة الصليبية بلغت هدفها واصبح قبر السيد المسيح مرة اخرى في ايدي النصارى»[٥] .

هنا نعى ماير الحالة في بيت المقدس، وأكد بأن كل التعب الذي تعرض له الجيش الصليبي في الشرق كان حصيلة عودة القدس مرة اخرى إلى الصليبين.

---

(١) تاريخ الحملة، ص٧٥.

(٢) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٤٠٤؛

Michaud , Joseph , Michard joseph francois , history of crusades translated from fancy by wrobson first edition , (New York , 1973), p12.

(٣) الكسياد، تر: حسن حبشي، ط١( القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ص٩٨.

(٤) حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط ( القاهرة، ١٩٥٦م)، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٥) تاريخ الحروب الصليبية، تر: د. عماد الدين غانم، ط (العراق، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع )، ص١٢٠.

كما نقد المستشرق الفرنسي غروسيه مذبحة القدس قائلاً «مذبحة بشعة لسكان المدينة من المسلمين وكانت المذبحة لا انسانية وخاسرة سياسياَ» (١)، وان غالبية المراجع الغربية الحديثة نقدت الحروب الصليبية، واجمعت على الاعتراف بأن مذبحة القدس كانت وصمة عار في تاريخ الحملة الصليبية الأولى(٢) .

أن رؤية غروسيه ثاقبة فهو من المستشرقين السباقين بالتصريح علناً من خلال وصفه للحملة الأولى بأنها لا تمتد للإنسانية بأي صورة، وانها من الحملات الخاسرة في السياسة الدولية.

أن مجزرة القدس ولدت ردة فعل قوية لدى المسلمين اتجاه الصليبين، وعزم على اخراجهم وطردهم من البلاد وهو ما يسميه المستشرق رانسيمان بـ التعصب الاسلامي بقوله «كان هذا الدليل على التعصب المسيحي المتعطش للدماء ؛ وهو الذي ادى إلى تعصب المسلمين وفيما بعد عندما حاول لاتينيو الشرق الاكثر حكمة السعي نحو ايجاد بعض الأسس لتعاون المسيحين والمسلمين كانت ذكرى المذبحة تقف دائماً عائقاً في الطريق»(٣) .

يرى برنارد لويس بأن «سقوط القدس عام ١٠٩٩م مبعث فخر للبلاد المسيحية وكارثة بالنسبة للمسلمين واليهود الذين كانوا في المدينة» (٤) ؛ وذلك لأنه لم ينجِ اليهود من المذبحة فقد قتل كثير منهم، بعد ان جمعوهم في معبدهم واحرقوهم بحجة تقديم المساعدة للمسلمين(٥) .

نعى المؤرخون المسلمين مجزرة القدس وكان في طليعتهم ابن القلانسي بقوله «وهجموا على البلد ... وقتل خلق كثير ... وهدموا المشاهد وقبر الخليل (عليه السلام)"(٦)، كما وصف لنا ابن الاثير وابو الفداء فضاحة المشهد «وركب الناس السيف ولبث الصليبيون في البلد اسبوعاً يقتلون

---

(١) ملحمة الحروب الصليبية، ص٤٣.

(٢) نوار، صلاح الدين محمد، العدوان الصليبي على العالم الاسلامي (٤٩٠-٥١٥هـ/١٠٩٧-١١٢١م) (اضواء جديدة على الحروب الصليبية )، ط١( القاهرة، دار الدعوة)، ص١٢٥؛

Crousset , Historic des croisades et du royame france de Jerusalem , (Paris , 1934), p6.

(٣) تاريخ الحملات الصليبية، ج١، ص٤٣٥.

(٤) ازمة الاسلام الحرب الاقدس والارهاب المدنس رؤية المحافظين الجدد واليمين الاميركي للإسلام المعاصر، تر: حازم مالك محسن، ط٢ (بغداد، دار ومكتبة عدنان، ٢٠٢٠م)، ص٧٥.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧؛ ابن تغري بردي ،جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط(مصر، دار الكتب)، ج٥، ص١٥٠؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، تر: أالياس شاهين، ط( موسكو، دار التقدم، ١٩٨٦م)، ص١٣٢.

(٦) ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٢.

فيه المسلمين» [١] .

**ثالثاً/ الأسرى في بيت المقدس بين الروايات التأريخية والاستشراقية**

شهدت الاحداث في فلسطين إلى وقوع الكثير من الأسرى من كلا الجانبين على مر العصور، وأختلف التعامل معهم على الصعيدين الاسلامي والصهيوني المسيحي واليهودي، فوصف لنا عدد الأسرى في مجزرة القدس المؤرخ ابن الاثير بقوله «كثر القتل والأسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن أنه اسروا واحداً ومن يرى الأسرى لا يظن انهم قتلوا واحداً»[٢] .

تطرق المؤرخين اللاتين إلى وصف حالة الأسرى من كلا الجانبيين فهذا وليم الصّوري، وصف حالة الأسرى بعد مذبحة القدس قائلاً «... فقرروا أن يقوم بهذا العمل السكان الأسرى الذين شاءت الصدفة أن يتخطاهم منجل الموت ليلقوا في السجون»[٣] .

أن طريقة تبادل الأسرى كانت اما تبادل بالأنفس أو بالأموال، فقد كان من بين الأسرى المسلمين بعد مذبحة القدس في الحملة الصليبية الأولى الحافظ مكي بن عبد السلام الرحيلي الذي طالبوا الصليبيين في فدائه الف دينار، ولما لم يكن بوسعه امتلاك هذا المبلغ اخرجوه إلى انطاكيا ورجموه بالحجارة حتى مات(٤ ) .

أما على الصعيد الاسلامي، فقد ضرب لنا القائد المحنك صلاح الدين الايوبي مثالاً رائعاً في معاملة الاسرى، فعندما وقع الملك غي لوزجيان في اسره استقبله استقبالاً حسناً واجلسه بقربه، وقدم إليه ماء مثلج فشرب منه واعطى ما تبقى منه إلى ارناط حاكم الكرك الذي كان يتعرض إلى المسلمين كثيراً ويقول لهم هاتوا محمدكم، فأقسم عليه صلاح الدين أن يقتله بيديه جزاء افعاله القبيحة، فغضب عندما ناوله الملك غي لوزجيان قدح الماء وقال «ان هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال اماني»، ثم التفت صلاح الدين إلى ارناط اخذ يذكره بجرائمه وغدره للمسلمين

(١) الكامل، ج١٠، ص٢٨٣-٢٨٤؛ عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في اخبار البشر ،ط١(القاهرة، دار المعارف)، ج١، ص٢١٧.

(٢) الكامل، ج١١، ص٣٥٣.

(٣) الحروب الصليبية، ج٢، ص١٣٥.

(٤) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ دمشق ،ط(دار الفكر)، ج٤٣، ص٣٦٦؛ السبكي، ابو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط٢( د.ط)، ج٤، ص٢٠؛ الزوبعي، محمود فياض، المقاومة العربية الاسلامية للغزو الصليبي ٤٩٠-٥٨٣هـ، ط (العراق، ديالى، ٢٠١١م)، ص٩٨.

وقتلهم دون ذنب فأقبل على قتله بنفسه وفاءً بنذره ،واطلق سراح جميع الأسرى[١] .

كان المسلمون يشترون اسراهم من الصليبين، لكن صلاح الدين في موقف من المواقف في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م دفع الفدية الباهظة التي فرضوها لأطلاق سراح السكان المسلمين ؛ لكن الصليبيين نقضوا العهد وفتكوا بالأسرى المسلمين فأجابهم صلاح الدين بالمثل وبطش بأسراهم الذين كانوا عنده فعد هذا الاجراء الجريء مجزرة مروعة من الجانبين [٢] .

تطرق المستشرق الايطالي غابرييلي إلى سوء معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين قائلاً «يذكر ان صلاح الدين احضر بين يديه افرنجي قد أسر فأمر بضرب عنقه بين يديه بعد عرض الاسلام عليه وابائه عنه»[٣]، ثم ناقض نفسه في موضوع اخر بقوله «عندما دخل صلاح الدين عكا اخرج الأسرى كلهم من ضيق الأسر وكانوا زهاء اربعة الاف اسير واعطى كل واحد منهم نفقة يصل بها إلى بلده واهله»[٤] .

وصف لنا غروسيه المعاملة الحسنة التي عامل بها الصليبيين الأسرى المسلمين عندما هاجم الصليبيين على معسكر المسلمين بقيادة بودوان، وكانت من بين الأسرى امرأة مسلمة تعاني من الآم المخاض، فأمر ملك بيت المقدس بإقامة خيمة فاخرة لها مجهزة بإثمن ما توفر من اثاث وخلع الملك رداءه الملكي وجعله غطاء للبدوية الشابة (يقصد المرأة المسلمة)، ثم غادر الخيمة بعد تأمين احتياجاتها من الماء والغذاء والخدم فضلاً عن ناقتين لإرضاع الوليد المنتظر عند الحاجة[٥] .

مما لا ريب فيه، أن الصليبين تأثروا بالمسلمين في معاملتهم للأسرى من خلال قربهم والعيش معهم على ارض واحدة، فترعرعت الانسانية في قلوبهم بعد سلسلة من الاعمال الوحشية التي

---

(١) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن ابي جرادة (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، ط(دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م)، ج٣، ص٩٦؛ ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة، ط(بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٧١م)، ج٥، ص٣٥٨؛ لويس، ازمة الاسلام، ص٧٧.

(٢) العماد الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) ،الفتح القسي في الفتح القدسي، ط(مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٢٢هـ)، ص٨١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٩٤؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: منير البعلبكي واخرون، ط٦(بيروت، ١٩٤٨م)، ص٣٥٧؛ غابرييلي، فرانشيسكو، المؤرخون العرب للحروب الصليبية، تر وتح: نبيل رضا المهايني، ط١ ( بيروت، مطابع الدار العربية للعلوم، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص١٢١.

(٣) المؤرخون، ص١٤٠.

(٤) المؤرخون، ص١٤٧.

(٥) ملحمة الحروب الصليبية، ص٦٩.

قاموا بها.

ذكر المستشرق ستانلي لين بول المعاملة الحسنة التي عامل فيها المسلمين اسرى الصليبين قائلاً «اظهر صلاح الدين لزوجات وبنات الفرسان اللواتي هربن إلى القدس عندما قتل اسيادهن واسرن في الحرب اجتمعن ومثلن امام صلاح الدين باكيات طالبات الرحمة فعندما سمعهن صلاح الدين يبكين رق قلبه وحزن عليهم فبكى هو نفسه شفقة فأطلق سراح الجميع وامر لهن بمبالغ كبيرة واعلن في الخارج عن حلم وشرف صلاح الدين»[١] .

(١) صلاح الدين الايوبي وسقوط مملكة القدس، تر: فاروق سعد ابو جابر، ط١ (القاهرة، مطبعة الاهرام، ١٩٩٥م)، ص١٩٧.

## المبحث الثاني
## الاستيطان والتعايش السلمي في القدس

أولاً/ لمحة تأريخية عن الاستيطان : الحروب الصليبية ظاهرة مهمة يشترك فيها الشرق الاسلامي والغرب الاوربي في العصور الوسطى ؛ لأنها عدت اساس العلاقة الاستعمارية في الوقت الحاضر ،وما زاد من اهمية هذه الحروب ان منطقة الصراع القديم فلسطين ما زالت منطقة صراع لأحد اثار العلاقة الاستعمارية مع الغرب الكيان الصهيوني الذي يشبه بالأمارات الصليبية (القدس، طرابلس، انطاكيا، الرها)، وهذه الأمارات توجب عليها استنباط صيغة ممكنة للتعايش مع الدول الاسلامية التركية – العربية المجاورة، وللعيش باحتكاك دائم مع الفلاحين والتجار المسلمين الباقين في الأراضي التي بحوزة الفرنجة، وتقبل الحد الأدنى من التسامح الديني بين المسيحية والإسلام(١)، لكن المستشرق فيليب فارج نوه على ان الإسلام مهدد في ارض فلسطين بقوله «في اقصى غرب العالم الاسلامي يحمل زهاء – جنود السلاح للذود عن الإسلام المهدد في الأرض المسيحية»(٢) .

ان الفرنجة اضفوا على القدس الطابع الغربي، اذا قاموا بتوطين عناصر غربية فيها كما بسطوا سيطرتهم على جميع الأماكن الدينية المسيحية(٣)، فقد علق المستشرق اليهودي برنارد لويس قائلاً «حاول الصليبين جعل القدس مدينة مسيحية في القرن التاسع عشر بسبب الهجرة اليهودية الجديدة»(٤).

مما لاريب فيه، أن ردة فعل لويس نابعه من كونه يهودي الديانة وسياسي محنك فقد ادرك أن الصليبيين خافوا من المد اليهودي الاستيطاني وجعلوا المدينة مسيحية أمراً لابأس فيه فقد صنع القرار فيما بعد لتهويد المدينة في نيويورك وواشنطن.

---

(١) غروسيه، الحروب الصليبية، ص٣٥.

(٢) المسيحيون، ص٨٢.

(3) Hagenmer . CF. Chrondogie de La premiere croisade , 1094-1100 , p374.

(٤) ازمة الاسلام، ص٧٧.

ثانياً/ تطور الاستيطان والعوامل المؤثرة فيه: ان اول استيطان في فلسطين هو قيام مملكة بيت المقدس ونصب جودفري حاكماً عليها ولقب بـ حامي القبر المقدس[١]، و بعدما دخل الصليبين إلى القدس عملوا عمل العصابات، فقد انطلقوا يسطون على البيوت وقتلوا اهلها ثم استولوا عليها[٢]، فوصف لنا ذلك وليم الصّوري الاحداث بقوله «ومضى مغتصب كل بيت يدعي ان البيت الذي اقتحمه انما هو ملك خاص له»[٣]، حتى انهم حولوا المساجد إلى كنائس، وحولوا قبة الصخرة إلى كنيسة اسموها المعبد المقدس وزينوها بالتماثيل والصور والايقونات، وقلعوا الهلال الذي يعلو قبة الصخرة ووضعوا بدلاً عنه صليباً كبيراً على قرار الصلبان التي تعلو قباب الكنائس المسيحية[٤]، فضلاً عن نهب المسجد الأقصى وغيروا اسمه إلى هيكل سليمان Atium templam Sulaiman، وقسموه إلى ثلاثة اقسام قسم جعلوه كنيسة، وقسم مسكناً لفرسانهم والقسم الثالث جعلوه اسطبلاً لحيواناتهم[٥] .

أولى الملك بلدوين الأول مشكلة النقص الحاد في عدد سكان بيت المقدس من الفرنجة جل اهتمامه، واخذ يفكر في التغلب عليها بكافة الطرق وتشاور مع الامراء والقادة في مملكته ،وتوصلوا إلى قرار ينص على السماح للمسيحيين الشرقيين بالعودة إلى بيوتهم في القدس بعد استيلاء الفرنجة عليها ؛ بسبب خلو المدينة من السكان لذلك فأن عودتهم لم تحل المشكلة فقد عانت القدس نقص حاد من السكان ووصف ذلك وليم الصوري بقوله «وكان سكان قطرنا قليلي العدد، قلة ملحوظة ويعيشون في فقر مدقع، حيث انهم كانوا اقل من أن يشغلوا شارعاً من شوارعها»[٦] .

فقد علق بشأن ذلك المستشرق كلود كاهن قائلاً «من الصعب معرفة فيما اذا كان الاستيطان اللاتيني في الشرق قد تمكن من النمو ببطء حتى لو كان هناك في الفترات الأولى ما يكفي من القادمين الجدد لتعويض الوفيات المبكرة الناتجة من الحرب»[٧] .

---

(١) غروسيه، الحروب، ص٤٤؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص٣٤٥.

(٢) وليم الصوري، الحروب، ج٢، ص١٢٨؛ فوشيه، تاريخ الحملة، ص٧٦.

(٣) الحروب، ج٢، ص١٢٨.

(٤) بنيامين، الربي بن يونه التطيلي (ت ٦٩١هـ/ ١١٧٧م)، رحلة بنيامين، تر: عزراء حداد، ط (بغداد، ١٩٤٥م)، ص١٠١؛ صالح، عبد العزيز حميد، الحرم الشريف في ظل الغزو الفرنجي، م المورد، (بغداد، ١٩٨٧م)، مج١٦، ع ٤، ص١٦١.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١٨٦؛

Haswell , d. n , Winn , an in troduction to the holy land , (London , 1969), p68.

(٦) الحروب الصليبية، ج١، ص٥٠٧.

(٧) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، تر: أحمد الشيخ، ط( القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٥م)، ص١٣٦.

تبين لنا من خلال مما سبق، بأن القدس عانت من قلة سكانها الذين راحوا أما قتلاً أو اسرى، لذلك توجهت انظار القادة الصليبين إلى ضرورة الغطاء السكاني، فدعوا المسيحيين الشرقيين بالرجوع إلى ديارهم وجلب سكان القرى المجاورة ؛ لتعويض النقص الحاد للسكان.

حاول الصليبيين فرض الكنيسة اللاتينية الغربية محل الكنيسة الارثوذكسية الشرقية، فاستولوا على املاك الكنيسة ونصبوا بطاركة لاتين يدينون بالولاء لروما تعاقبوا الواحد بعد الاخر على الكرسي الاورشليمي عاماً بعد عام طيلة حكم الصليبيين(١) ؛ لأن العلاقة بين مسيحي الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية لم تكن قائمة على الود، فقد كان الاختلاف المذهبي واللغوي ثم التباين الحضاري وحب السيطرة وعدم الثقة بين الطرفين سبباً لأثارة النزاع الدائم بين الاغريق واللاتين، وبات ينظر كل منهما للأخر بوصفه عدوه اللدود(٢)، فقد علق المستشرق برنارد لويس على اعلاه بقوله «ان التاريخ العربي سجل ووصف الصليبيين بالكفار أو النصارى أو في الاغلب الفرنجة كمصطلح عام للكاثوليك و لاحقاً البروتستانت نصارى أوربا تمييزاً لهم عن الارثوذكس واخوانهم في الدين الشرقيين»(٣) .

حث القادة الصليبيين سكان أوربا إلى الهجرة نحو فلسطين، لكونها المخرج الوحيد لتوطيد وجودهم في الأرض المقدسة (٤)، وخلق مجتمع سكاني جديد موالي إليهم ،مما أدى إلى بقاء القدس ترزح تحت السيطرة الافرنجية مدة ثمانية وثمانين سنة حتى تمكن صلاح الدين الايوبي من فتحها(٥) .

عندما دخل صلاح الدين الايوبي القدس رأى قلة عدد سكانها على اثر الحروب فقد نوه على ذلك المستشرق الفرنسي غروسيه «بعد معركة حطين استنزفت المستوطنات طاقاتها البشرية تماً وخاوية من المستوطنين»(٦)، فتسامح مع السكان المسيح، وسمح لهم بالجلاء عن المدينة بحرية

(١) زكي، عزت، كنائس المشرق، ط١(القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩١م)، ص١٦؛
Hagenmer . Cf. H, Chrondogie de La premiere croisade ١٠٩٤-١١٠٠ , p٣٧٤.

(٢) يوسف، جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط( الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م)، ص١٢١.

(٣) ازمة الاسلام، ص٧٧.

(٤) فارج، فيليب ويوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي والعربي والتركي، تر: بشير السباعي، ط١ (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣م)، ص١٣٢.

(٥) Hagenmer , Chrondogie , p٣٧٥.

(٦) الحروب، ص٦٦.

وسلام ورفض رفضاً قاطعاً تهديم كنيسة القبر المقدس، لكن المستشرق الالماني بروكلمان ادعى بأن صلاح الدين هدم جميع اماكن العبادة المسيحية في القدس، ثم سمح لهم بزيارة بيت المقدس حجاجاً عزلاً من السلاح[١] ،وان اجراء صلاح الدين ذلك يرجع لكونه عقد صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م مع القائد الانكليزي ريتشارد قلب الأسد بعد انتصاره في معركة حطين، وكان من بين بنود الصلح ان تكون القدس تحت سيطرة المسلمين مقابل السماح للحجاج المسيحيين المرور بأمان إلى القدس وبيت لحم والناصرة دون المطالبة بأية ضريبة مقابل ذلك[٢]، لكن ناقضه فيليب فارج وذكر بأن المسيحيين واليهود ظلوا تحت السلطة المسلمة مخلصين لحكامهم ولا تشكو اموالهم انحطاط يذكر[٣] .

تأسف المستشرق الايطالي فرانشيسكو لرجوع القدس إلى ايدي المسلمين قائلاً «ثم حدثت الخسارة الكبيرة التي اصابت العالم المسيحي برجوع القدس للمسلمين واستسلامها»[٤] .

أن المستوطنين الاوربيين كانوا يقومون بإنشاء منازلهم بأنفسهم بعد الحصول على اذن مسبق من المشرفين على المستوطنات التي كانت ملكاً وراثياً[٥] ،وبلغت العلاقات اوجها بحيث كانت ودية بين المسلمين والصليبين، فقد كانت قصور الزعماء الصليبين لا تخلو من العرب[٦]، وكانت هنالك اتصالات في اوقات السلم والحرب بين زعماء العرب والافرنج وكانوا يوقفون حرباً دائرة ليتبادلو عبارات التحية والاحترام[٧] .

يبدو أن الاستيطان في الارض المحتلة والتعايش مع سكانها المسلمين وصل إلى ذروته، فقد كانوا يلتقون معاً في الكنائس وهذا يدل على التسامح الديني بين الطرفين، فضلاً عن تبادلهم السلام، فقد امتزج الصليبين مع المجتمع الاسلامي فأصبح من الصعب التمييز بين الافرنجي

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية، ص٣٥٧.

(٢) العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص٦٠٨؛ ابو شامة، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في اخبار الدولتين، ط(القاهرة، ١٢٨٨هـ)، ج٢، ص٢٠٣.

(٣) المسيحيون، ص٨٦.

(٤) المؤرخون، ص١٤٨.

(٥) براور، يوشع ،عالم الصليبين، تر: قاسم عبده قاسم، تعليق: محمد خليفة، ط(القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٩٩٩م)، ص١٣٣.

(٦) البنداري، ابو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، سنا البرق الشامي، تح: فتحية البنراوي، ط( القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٩م)، ص٩٠.

(٧) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٥٩.

والايطالي من الفلسطيني.

كانت المزارات المسيحية في فلسطين مكاناً يلتقي فيه المسلمون بالمسيح الغربين، مما بعث روح التسامح بينهما(١)، بحيث كان هنالك كنائس يجتمع فيها المسلمون والمسيح الشرقيين وكلاً يؤدي صلاته حسب شريعته، وان هذا التألف لفت انظار الغربين إلى ضرورة نبذ الخلافات المذهبية(٢)، واعجبوا بالمبادئ الانسانية التي يتمتع بها المسلمين، ونظروا إلى صلاح الدين كمثل اعلى للبطل السامي الذي يتمسك بهذه المبادئ(٣) .

مما لاشك فيه، ان الحروب الصليبية لم تكن دينية فحسب، وانما كانت حركة استعمارية استيطانية هدفها التوسع الجغرافي للغرب الصليبي والسيطرة على الارض في الشرق، واكد على ذلك كثير من المستشرقين كان في طليعتهم هنري وليم كارلز ديفز قائلاً «ان الشغل الشاغل للحكام اللاتين في الثمانين سنة التي اعقبت تأسيس المستعمرات الاوربية في الارض المقدسة هو توسيع حدود تلك المستعمرات وتدعيمها تحت تاج بيت المقدس»(٤) .

(١) بك، أحمد رضا، الخيبة الادبية للسياسة الغربية في الشرق، تر: محمد بوقيبة ومحمد الصادق الزمرلي، ط٢( تونس، دار بو سلامة، ١٩٧٧م)، ص٢١٦.

(٢) جاك، س. ريسلر، الحضارة العربية، تر : غنيم عبدون وأحمد فؤاد الاهواني، ط (الدار المصرية للتأليف والترجمة )، ص١٣١.

(٣) بك، الخيبة الادبية، ص١٠٣.

(٤) أوربا في العصور الوسطى، تر: عبد الحميد حمدي، ط١ (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٥٨م)، ص٧٨.

## الخاتمة

أن الحروب الصليبية نجحت في اقامة دولة مسيحية على ارض القدس في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ثم نجح صناع القرار فيما بعد على اقامة دولة اسرائيل وتقسيم المنطقة، يبدو لنا أن للعوامل الدينية دوراً كبيراً في اخضاع القدس للصليبيين الذين طبقوا وحشيتهم بحق السكان المحليين فلم يرحموا صغيراً ولا كبيراً .

وتبين لنا من خلال مما سبق، بأن القدس شهدت اكبر واول مجزرة في سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م والتي مهدت الطريق في العصر الحديث والمعاصر للقيام بالمجازر بحق السكان العزل لكن هذه المرة على ايدي الصهاينة الذين يعدون اداة لتحقيق طموحات الغرب الاوربي . مما لاشك فيه، بأنه على الرغم من المجازر التي فنيت فيها بيت المقدس ،الا انه كانت هناك تعايش سلمي بين المسلمين والصليبين وصل الى حد المصاهرة والتأثر الحضاري، كما ان هناك رحة وتسامح كبير لحالة الاسرى الصليبين الذين وقعوا بحوزة المسلمين آنذاك.

## قائمة المصادر والمراجع

• ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢).
١-الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١( بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
• ابن تغري بردي ،جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م).
٢-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط(مصر، دار الكتب).
• ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
٣-المقدمة، ط(بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٧١م).
• ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٦م).
٤-تاريخ دمشق ،ط(دار الفكر).
• ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة بن اسد بن علي بن محمد (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م).
٥-ذيل تاريخ دمشق، ط (بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨م).
• ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن ابي جرادة (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م).
٦-زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، ط(دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م).
• اجيل، ريموند (ت بعد سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م).
٧-تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، ط١( الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
• ابو شامة، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) .
٨-الروضتين في اخبار الدولتين، ط(القاهرة، ١٢٨٨هـ).
• ابو الفداء،عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م).
٩-المختصر في اخبار البشر ،ط١(القاهرة، دار المعارف).
• الابن، جيمس رستون .
١٠-مقاتلون في سبيل صلاح الدين وريتشارد قلب الاسد، نقله الى العربية : رضوان السيد رضوان، ط١( الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م).

• البنداري، ابو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م).
١١-سنا البرق الشامي، تح: فتحية البنراوي، ط( القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٩م).
• الزهاوي، عباس عبد الستار.
١٢-المستشرقون وصناع القرار والرأي العام الغربي من الحروب الصليبية إلى الحرب الباردة، ط( بغداد، ٢٠١٦م).
• الزوبعي، محمود فياض .
١٣-المقاومة العربية الاسلامية للغزو الصليبي ٤٩٠-٥٨٣هـ، ط (العراق، ديالى، ٢٠١١م).
• السبكي، ابو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).
١٤-طبقات الشافعية الكبرى، ط٢( د.ط).
• الشارتري، فوشيه.
١٥- تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٦-١١٢٧)، تر: زياد جميل العسلي، ط١(عمان، دار الشروق ،١٩٩٠م).
• الصوري، وليم .
١٦-الحروب الصليبية، تر: حسن حبشي، ط( القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م).
• العماد الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) .
١٧-الفتح القسي في الفتح القدسي، ط(مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٢٢هـ).
• براور، يوشع.
١٨-عالم الصليبين، تر: قاسم عبده قاسم، تعليق : محمد خليفة، ط (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٩٩٩م).
• بروكلمان، كارل.
١٩-تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: منير البعلبكي واخرون، ط٦( بيروت، ١٩٤٨م).
• بك، أحمد رضا .
٢٠-الخيبة الادبية للسياسة الغربية في الشرق، تر: محمد بوقيبة ومحمد الصادق الزمرلي، ط ٢ (تونس، دار بو سلامة، ١٩٧٧م).
• بنيامين، الربي بن يونه التطيلي (ت ٦٩١هـ/ ١١٧٧م).
٢١-رحلة بنيامين، تر: عزراء حداد، ط (بغداد، ١٩٤٥م).

• بورشاد من دير جبل صهيون.
٢٢-وصف الارض المقدسة ،ط(دار الشروق، ١٩٩٥م).
• بول، ستانلي لين.
٢٣-صلاح الدين الايوبي وسقوط مملكة القدس، تر: فاروق سعد ابو جابر، ط١ (القاهرة، مطبعة الاهرام، ١٩٩٥م).
• توديبود، بطرس.
٢٤- تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، تر: حسين عطية، ط١( الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م).
• جاك، س. ريسلر .
٢٥-الحضارة العربية، تر : غنيم عبدون وأحمد فؤاد الاهواني، ط (الدار المصرية للتأليف والترجمة ).
• حتى، فيليب.
٢٦-موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر: انيس فريحة، ط (بيروت، مطبعة الغريب). ديفز، هنري وليم كارلز.
٢٧-أوربا في العصور الوسطى، تر: عبد الحميد حمدي، ط١ (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٥٨م).
• ديورانت، ول.
٢٨-قصة الحضارة، تر: عبد الحميد يونس، ط (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م). • رانسيمان، ستيفن.
٢٩- تاريخ الحملات الصليبية، تر: نور الدين خليل، ط١(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م). • رواية الراهب روبير عن مجمع كليرمونت .
٣٠-الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، قاسم عبده قاسم، ط( القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ٢٠١١م) .
• زابوروف، ميخائيل.
٣١-الصليبيون في الشرق، تر: ألياس شاهين، ط( موسكو، دار التقدم، ١٩٨٦م).
• زكي، عزت.
٣٢-كنائس المشرق، ط١(القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩١م).

• سميل، ر.س.
٣٣-الحروب الصليبية، تر: سامي الدهان، ط (بيروت، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م). • شيفل، فرديناند .
٣٤-الحضارة الاوربية في القرون الوسطى وعصر النهضة، تر: منير البعلبكي، ط (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٢م).
• صالح، عبد العزيز حميد .
٣٥-الحرم الشريف في ظل الغزو الفرنجي، م المورد، (بغداد، ١٩٨٧م).
• غابرييلي، فرانشيسكو .
٣٦-المؤرخون العرب للحروب الصليبية، تر وتح: نبيل رضا المهايني، ط١ ( بيروت، مطابع الدار العربية للعلوم، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).
• غروسيه، رينيه .
٣٧-ملحمة الحروب الصليبية، تر: سامية زغيب، مر و تق : د. ابراهيم بيضون، ط١ (بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
• قاسم، عبده قاسم.
٣٨-الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق ،ط(عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م).
٣٩-ماهية الحروب الصليبية ،ط (عالم المعرفة، ١٩٧٨م).
• فارج، فيليب ويوسف كرباج .
٤٠-المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي والعربي والتركي، تر: بشير السباعي، ط١ (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣م).
• لوبون، غوستاف.
٤١-حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط ( القاهرة، ١٩٥٦م)، ص٣٢٥-٣٢٦.
• لويس، برنارد.
٤٢-ازمة الاسلام الحرب الاقدس والارهاب المدنس رؤية المحافظين الجدد واليمين الاميركي للإسلام المعاصر، تر: حازم مالك محسن، ط٢ (بغداد، دار ومكتبة عدنان، ٢٠٢٠م).
• كاهن، كلود.
٤٣-الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، تر: أحمد الشيخ، ط( القاهرة، سينا للنشر،

١٩٩٥م).
• كومنين، آنا .
٤٤-الكسياد، تر: حسن حبشي، ط١( القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٤م).
• ماير، هانس.
٤٥-تاريخ الحروب الصليبية، تر: د. عماد الدين غانم، ط (العراق، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع ).
• مؤرخ مجهول.
٤٦-اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، ط (مصر، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م).
• نوار، صلاح الدين محمد.
٤٧-العدوان الصليبي على العالم الاسلامي (٤٩٠-٥١٥هـ/١٠٩٧-١١٢١م)(اضواء جديدة على الحروب الصليبية )، ط١(القاهرة، دار الدعوة ).
• هازار، بول .
٤٨-الفكر الاوربي في القرن الثامن عشر من منتسكيو الى لسينج، تر: محمد غلاب، ط( القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩م).
• ويندوفر، روجر أوف.
٤٩-ورود التاريخ في تاريخ الحروب الصليبية، الموسوعة الشاملة، تر: سهيل زكار.
• يوسف، جوزيف نسيم.
٥٠-العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م).

• Bainton Roland , H,

51-Patristic Christianity , The Idea of history in the ancient near East , (London ).

• Crousset. 52-Historic des croisades et du royame france de Jerusalem , (Paris , 1934).

• Hagenmer .CF.

53-Chrondogie de La premiere croisade , 1094-1100 .

• Haswell , d. n , Winn ,

54-an in troduction to the holy land , (London , 1969).

• Michaud , Joseph , Michard joseph francois ,

55-history of crusades translated from fancy by wrobson first edition , (New York , 1973).

• Raimond , CF,

56-A guilers history francoram qui ceperant Iherusalem .

• Zoe ,

57-olden bourg the crusades , (New York , 1965).